الأحد: 2023/10/15

التوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 14 في الكلية

المحاضرة رقم 03: اتجاهات فنون النّثر العربي الحديث وأهم موضوعاتها

علاوة على حديثنا عن فنون النّثر العربي الحديث قوانين وجودها وتطورها، فإنّ النّثر العربي حيال هذا التطوّر الجديد يحكمه اتّجاهين؛ اتّجاه مقلّد واتّجاه مطوّر مجدّد.

1/ الاتّجاه المقلّد أو المحافظ الإحيائي:

فهو الاتّجاه الذي لا يزال على منهج النّثر المتوارث في العهد التّركي؛ منبع ثقافته الثّقافة العربية، من حيث العناية بالمحسّنات البديعيّة دون مراعاة وضوح الدّلالة، ورصانة الأداء، والدّفاع عن أمجاد الماضي وتراثه، والاهتمام بتصوير الآفات الاجتماعية والخلقيّة للإصلاح، كما يلاحظ على أصحاب الطريقة المقاميّة (الحريرية).

أيّ أنّ دعوة المحافظين تحمل لواء المحافظة على اللّغة العربيّة والدّفاع عنها ودخول معارك في سبيل حمايتها، وإبراز أمجاد العرب وإحياء تراثهم والدّعوة إلى وحدتهم وعودتهم إلى الكيان الواحد والدّفاع عن الإسلام، ومقاومة كلّ الآراء الباطلة التي أذاعها كتّاب الغرب والدّعوة الوطنيّة في سبيل الحريّة ومقاومة الاستعمار والمطالبة بالجلاء، ولم يكن المحافظون من خريجي الأزهر وحده بل إنّ عددا كبيرا منهم كان متّصلا بالثّقافة الغربيّة، بل ومنهم من تعلّم في أوربا.

2/ الاتّجاه المطوّر المجدّد:

وهو الذي حاول التحرّر من ربقة التصنّع وتكلّف البديعيّات إلاّ ما جاء صدفة، فدعت إلى ثورة فنّية شديدة على المنهج المتكلّف، منّوهة بضرورة الصّدق في التّعبير والبعد عن التكلّف، والتأثّر بملامح الثّقافة الغربيّة، وجدّة الفكرة وعمقها، والميل إلى السّهولة في التّعبير، ودقّة الألفاظ وقوّتها، وظهور فنون جديدة كالقصّة والمسرحيّة.

وكانت دعوة هؤلاء المجدّدين تتراوح بين الاعتدال والتّطرف وتستهدف الاتّجاه إلى الثّقافة الغربيّة واستعمال أساليبها وتحرير الأسلوب العربي من قيود الزّخرف، والتّرجمة من

الآداب الغربيّة، وإعادة كتابة التّاريخ الإسلامي والعربي وفق الأسلوب العلمي كما أدّى إلى ظهور أدب المرأة بعد تحرّرها.

وقد عاش الاتّجاهان جنبا إلى جنب خلال هذه الفترة يتصارعان ويتداخلان في معارك ضخمة متعدّدة كانت تشتدّ حينا وتهدأ حينا، ثم يتأثّر كل اتجاه منهما بالآخر.

المحافظون ↓ يجددّون في الأسلوب والمضمون

المجددون ↓ التّحفظ قليلا في إنكارهم للقديم كلّه

فنشأ من ذلك أربعة اتّجاهات متداخلة:

الاتّجاه المحافظ	المحافظ المعتدل	الاتّجاه المجدّد المتطرّف	المجدّد المعتدل
الكتابة على منوال القدماء والنّهج نهجهم دون مواكبة تطوّرات العصر.	الإبقاء على شأن الأمجاد العربيّة والتّراث العربي واللّغة والدّين، مع الاستفادة من الحضارة الغربيّة.	دعا إلى تغريب الفكر العربي تغريبا كاملا والسّير سيرة الغرب ونقل حضارته كاملة (ما يحبّ منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب).	يدعو إلى التّطور في النّقل ومراعاة الظّروف وحماية الشّخصية الذاتيّة بحيث يزيدها النّقل قوة ولا يمسخ معالمها الواضحة. فهو جمع بين خصائص المحافظين والمجدّدين باتزان شديد، فأخذ من المحافظين العناية بدقة الألفاظ وحسن الصّياغة والحرص على موسيقى الجمل، والعناية باللّغة، كما استقى من الاتّجاه المطوّر المجدّد وضوح الفكرة والبعد عن التكلّف مع الميل إلى السّهولة (الممتنعة) والترسّل وعدم تعمّد كثرة التوشيّة بالمحسّنات البديعية مع رعاية الجانب العاطفي وتصوير المشاعر بصدق وإخلاص.

لقد حملت الشّام لواء إحياء اللّغة العربيّة وتجديد الأدب ودعوة القوميّة العربيّة والتّرجمة، فلما كانت الهجرة الاضطراريّة إلى مصر امتزج تيّار الشّام بتيّار مصر الذي كان طابعه علميا، ويمثّل علماء لبنان جدارا ضخما في حماية اللّغة العربية «اليازجين والبستانيين واليسوعين» وكان كتّاب الشّام أشدّ جرأة من كتّاب مصر.

أما بالنّسبة للاتّجاه المجدّد المتّطرف كان نتيجة لروح الجمود الذي سار عليه الأدب العربي فترة طويلة، إضافة إلى انبهار المهاجرين والمبعوثين من عظمة حضارة الغرب وحرّيتها الفكريّة، ولذلك مضى الاتجاه التّجديدي يعمّق ويندفع وقد قام في الأغلب على الثّقافة اللاّتينية والتّرجمة العلميّة من الإنجليزيّة والتّرجمة الأدبيّة من الفرنسيّة.

وفي الأغلب قد جرى الصّراع بين المحافظين والمجدّدين في ميدانين:

1) **الأسلوب التّقليدي:** الذي كان يحمل لواءه (توفيق البكري، محمد بيرم، عبد الله النديم، محمد المويلحي، ناصيف اليازجي).

2) **الأسلوب الجديد:** الذي برز في كتابات (فارس الشّدياق، يعقوب صروف، جرجي زيدان، فتحي زغلول، قاسم أمين، فرح أنطون، شبلي شميل).

وكان الصّراع في الفكر تقدميا واضح الجرأة يقوم على أساس الدّعوة إلى الحريّة ومحاربة الاستبداد والاحتلال، وتحرير الدّين من قيود التّقليد، وتحرير المرأة ودفعها إلى التّعلم والسّفر.

كما نجد (جمال الدّين الأفغاني، محمّد عبده، عبد الرّحمن الكواكبي) قاوموا في كتاباتهم الاستبداد السيّاسي والاستعمار والاحتلال الفكريّ، وبرزت الدّعوة إلى إحياء التّراث الإسلامي والحفاظ على اللّغة العربيّة في كتابات (رشيد رضا، رفيق العظم).

أمّا (فارس الشّدياق، رفاع الطّهطاوي، قاسم أمين) فقد دعوا إلى تحرير المرأة. وبدأ (الطهّطاوي، فتحي زغلول وغيرهم) التّرجمة من الفرنسيّة، و(يعقوب صروف، فارس الشّدياق من الإنجليزيّة.

ومع القرن العشرين بدأ النّثر العربي يشقّ طريقه إلى التّطور، إلاّ أنّ الأسلوب التّقليدي في الكتابة ظلّ قائما، وإن كان قد تقلّص في عدد قليل من الكتب، فنحن لا نلمح إلاّ في (حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي، وليالي سطح لحافظ إبراهيم، وأسواق الذّهب لشوقي).

أمّا فيما عدا هذا فإننا نجد أنّ الأسلوب العربي قد قطع طورا جديدا في طريق التّبسيط والوضوح وخاصّة على أيدي كتّاب الصّحف ومحرّريها وفي هذه المرحلة تعمّق تيّار التّرجمة فنرى (سليمان البستاني) يترجم الإلياذة إلى اللّغة العربية شعرا واستغرقت ترجمتها منه أكثر من خمسة عشر عاما.

وظهر تيّار الكتابة العلميّة المتطرّفة في كتابات (شبلي شميل) وترجماته للنّشوء والارتقاء ونظريّة دارون. كما ظهر الأسلوب الإنشائي يحمل الفكرة والقصّة والتّرجمة في كتابات (المنفلوطي والبرقوتي).

والاتّجاه الموفّق في كلّ ما تمّ تقديمه هو الاتّجاه المستنير الذي يأخذ من القديم بطرف ومن الجديد بطرف على هدى وبصيرة في سبيل الحفاظ على شخصيتنا العربيّة الإسلاميّة، وحماية اللّغة العربيّة، من خلال تقييمها وترقيتها ودفعها إلى الأمام لمواجهة الحضارة وكلماتها ودفعها لحملات السّوء التي بدأ يشنّها عليها غربيّون ومتغربون، وظهر في هذه الفترة (أحمد تيمور، محمد مسعود، أحمد زكي باشا...).

وتعطي هذه الصّورة فيما بعد التّقارب بين المذاهب المختلفة، والتقاء المحافظة بالتّجديد، فإن أغلب كتّاب التّجديد قد اتّجهوا إلى إحياء التّراث وأخذوا يبعثون القديم في صوّر جديدة، في حين جدّد الكتّاب المحافظون أسلوبهم واندفعوا إلى شيء من التّطور، وبدأ يختفي الأسلوب التّقليدي الذي عرف في كتابات (البكري والمويلحي وشكيب أرسلان) وخلّفه أسلوب إنشائي نقيّ، وأسلوب أقرب إلى العلميّة، ومعنى هذا إن الأسلوب العربي قد بلغ في الفترات المتعاقبة درجة من الجودة والنّقاء وحسن الأداء وزادت إمكانية كتّاب (تأديب التّاريخ) والكشف عن معاليم ثقافتنا العربيّة مع اصطناع الأسلوب العلمي الحديث.